﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ۝٤١ أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ۝٤٢ أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٤٣﴾ [الطور: 41 - 43]

❁ مُناسَبَةُ الآيات لِما قَبْلَها:

تَـواصُـلُ الـرّدّ عـلى شبـهات المـشـركـين وتفنيدُها

بعد أن ردّ النّظمُ الجليل فيما سبق اتهامَ المشركين للنّبيّ ﷺ بالسّعي لمكاسب دنيويّة؛ جاءت هذه الآية لنفي ادّعاء المشركين امتلاكَ عِلْمِ الغيبِ الذي يُمكِّنُهم من الحُكم على صدق الرّسالة، وهي زَعْمُهم أنّ دعوتَه ليست من عند الله تعالى[1].

❁ شرحُ المُفْردات:

1) ﴿ٱلۡمَكِيدُونَ﴾: (كيد) أصلٌ يدلُّ على معالجة لشيء بشِدّة، وكلّ شيء تعالجه فأنتَ تكيدُه[2]. والكَيْدُ: التَّدْبيرُ بباطلٍ أو حقٍّ[3]، والكَيْدُ: المكر[4]. والكيد: الاحتيال والاجتهاد فيه[5]. وقد يكون مذمومًا وممدوحًا، وإن كان يستعمل في المذموم أكثر[6]. فالذي يَكيد يُدَبِّر ويَمكُر ولا يُظْهِرُ كيدَه حتّى يأتيَ الوقتُ ويتمَّ التّدبيرُ على ما أراد[7]. فالمَكيدون في الآية الكريمة: هم المكورُ بهم، المَجْزيّونَ بكَيْدِهم[8].

❁ المَعْنَى الإجْماليُّ:

نـفـيُ افـتـراءات المـشـركـين، وتحقيرُ مكرهم، والـتّـنـديـد بشِركهم

يواصل النّظمُ القرآنيُّ الرّدَّ على افتراءات المشركين؛ لكشف

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 76.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كيد).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (كيد).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (كيد).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (كيد).
(6) الرّاغب، المفردات: (كيد).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (كيد).
(8) الشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 122.

بُطلان معتقدهم، فيتساءَلُ مُنكِرًا: أعندَهم عِلْمُ الغيب حتّى يكتبوا ما سيجري للنّبيّ ﷺ وأصحابِه؟ ولا شكّ أنّ ذلك ليس في وسعهم؛ فالغيبُ لا يعلمُه إلّا الله. ثمّ ينتقل إلى كشف نواياهم الخَفيّةِ، فهم يبيّتون كيدًا ومكرًا، ولكنّ مكرَهم سيَرتَدُّ عليهم، فهم في الحقيقة المَكيدون. ثمّ يُنكر عليهم شِرْكَهم: ألهمُ إله غير الله؟ فالله مُنَزّه عن كلّ شريك، ولا معبودَ بحَقٍّ سواه، وفي هذا إنكارٌ بليغ للمشركين في عبادتهمُ الأصنامَ، واتّخاذهمُ الأندادَ مع الله تعالى[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبلاغيُّ:

نُكْتَةُ فصلِ الآية عن سابقتها:

إنكار ادّعاء المشركين معرفة الغيب

فصل النّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ لأنّها مستأنفة، سيقت لإيراد إنكارٍ آخرَ على المشركين، "فبعد أن ردّ عليهم إنكارَهم الإسلام؛ لأنّهم اتّهموا النّبيّ ﷺ بطلب أجرٍ على تبليغ دعوتِه، أعقبَه بِرَدٍّ آخرَ بأنّهم كالذين اطّلَعوا على أنّ ما عند الله يخالف ما ادّعى الرّسول ﷺ إبلاغَه عن الله، فهم يكتبون ما اطّلعوا عليه، فيجدونَه مخالفًا لما جاء به الرّسولُ ﷺ"[2]. ويجوز أن يكون ردًّا على قولهم: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ [الطور: 30]؛ أي: أعندهمُ الغيبُ حتّى يقولوا ذلك، أم عند الله علمُ الغيب؟![3]. فنُكْتَةُ الفصلِ هنا هي استمرارُ وتعدُّدُ وجوهِ الاحتجاج والإنكار على المشركين، بعد إبطال مزاعمِهم بمعرفة الغيب.

دلالة التّعبير بـ ﴿أَمْ﴾:

نفيُ الحصول وإنكاره

دلّ التّعبيرُ بـ ﴿أَمْ﴾ في قوله: ﴿أَمْ عِندَهُمُ﴾ على النّفي والإنكار، بمعنى نفي الحصولِ من أصله؛ أي: هل عندهم عِلْم ما غاب

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 27/ 35، 36، وجماعة من العلماء، التّفسير الميسر: 1/ 525.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 76.
(3) محمّد الهلال، التّفسير النّبويّ: 11/ 170.

عنهم؟! والغرضُ من ذلك إبطالُ أن يكون لهم بالغيب صلةٌ؛ لأنّ همزة الاستفهام المُقَدّرة في ﴿أَمۡ﴾ همزةُ إنكارٍ بدلالة المقام[1].

نُكْتَةُ إعادةِ ذِكْر ﴿أَمۡ﴾:

أنّى للجاهل عِلْمُ ما لا يَسَعُهُ

كرّر النّظمُ الجليل ﴿أَمۡ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ﴾؛ وذلك لتأكيد الإنكار، ولحشد وجوه إبطال عِلْم المشركين بالغيب، فذكر وجهًا آخر من وجوه بُطلان معرفتِهم، فصرّح بنفي علمِهمُ الغيبَ تصريحًا مع الإنكار والتّهكّم؛ وذلك لأنّ غرورَ المشركين وتطاولَهم على الله ورسوله لا يصدران إلّا عمّن خرج عن نطاق البشريّة والملائكيّة؛ كأنّهم وضعوا أيديَهم على أسرار الحياة، ما كان وما هو كائن وما سيكون، وكأنّهم بذلك أحاطوا عِلْمًا بالغيوب الإلهيّة، وأنّى لهم ذلك[2].

نُكْتَةُ تقديمِ الظّرفيّة ﴿عِندَهُمُ﴾:

تشديد الإنكار على ادّعاء معرفةِ الغيب

قدّم النّظمُ الجليل شبهَ الجملةِ ﴿عِندَهُمُ﴾ على المسند إليه في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ﴾؛ وذلك لإفادة الاختصاص والاستئثار، أي: أهو مختصٌّ بهم دون غيرِهم حتّى يزعموا معرفة الغيب ومعرفة ما لا يعلمُه أحدٌ سواهم[3]، وهذا التّقديم يُفيد تشديدَ الإنكار والتّعجّب من ادّعائهمُ الباطلَ؛ حيثُ أعْطوا لأنفسهم ما لا يجوز؛ لأنّ عِلْم الغيب من خصائصه سبحانه دونَ غيرِه.

دلالة تعريف الغيب بالألف واللّام:

(أل) في لفظ (الغيب) بين الجنس والعهد

عرّف النّظمُ الجليل ﴿ٱلۡغَيۡبُ﴾ بالألف واللّام في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ﴾ وهو تعريف الجنس، أي: ليس لهم شيء من معرفة الغيب، فغاب عنهم أصله بالجملة[4]. ويجوز

(1) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 172.
(2) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 173.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 76.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 76.

أن تكون للعهد، ويكون المراد على ذلك نوع من الغيب، كما تقول: اشترى اللّحم؛ تريد بيانَ الحقيقة لا كلّ اللّحم[1]. ويكون المُراد بعِلْم الغيب هنا ادِّعاءَهُم معرفة أنّ النّبيّ ﷺ يموت قبلَهم، فنفيُ عِلْمِ الغيب عنهم على وجه الإنكار لإبطال أصل المعرفة عنهم[2].

بلاغة المجاز في قوله: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾:

حذف النّظمُ الجليل المضافَ وأقام المضافَ إليه مقامَه في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي: علمُ الغيب[3]، أو أسرارُه، فحُذِف ما يُعْلَم من السّياق إيجازًا في التّعبير، وهو كنايةٌ عن نفي اتّصافهم بالأُلوهيّة؛ لأنّ عِلْم أسرارِ الغيب لا يحيط به إلّا الله، وهذه الكناية من أبدع وألطف الكنايات.

لا يعلم آجال العباد إلّا الله تعالى

دلالة الفاء في ﴿فَهُمْ﴾:

عبّر النّظمُ الجليل بالفاء في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ وهي هنا حرفُ عطف[4]، وأفادت بما فيها من دلالة على السّببيّة أنّ معرفة الغيبِ تُسَبِّبُ القدرةَ على كتابة الأقدار. والأمر ليس كما زعموا، فلا يعلم غيبَ السّماوات والأرض إلّا الله[5].

معرفة الغيب تُسَبِّبُ القدرةَ على كتابة الأقدار

دلالة التّعبير بالكتابة في قوله: ﴿يَكْتُبُونَ﴾:

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بالكتابة في قوله: ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾؛ لأنّه يُعبّر بها عن التّوثيق والجَزم الذي لا يقبل التّخلّفَ؛ لأنّ شأنَ الشّيء الذي يُراد تحقيقُه والدّوامُ عليه أن يُكتبَ ويُسَجّل؛ فيكون الخبر في قوله: ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ مستعملًا في معناه من إفادة النّسبة الخبريّة. ويجوز أن تكون الكتابة على حقيقتها؛ أي: فهم يُسَجّلون ما

يُعبّر بالكتابة عن التّوثيق والجَزم الذي لا يقبل التّخلّفَ

(1) الجمل، حاشية على الجلالين: 4/ 220.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 39.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 30.
(4) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 302.
(5) محمّد الهلال، تفسير القرآن النّوريّ الجامع: 27/ 71.

اطّلعوا عليه من الغيب ليبقى معلومًا لمَن يَطّلع عليه، ويكون الخبر ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ مستعملًا في معنى الفَرَضِ والتَّقديرِ، تبعًا لفَرَضِ قوله: ﴿عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾[1]، ولأنّ الكتاب يكون بمعنى الحُكم؛ فيكون معناها: أهُم قادرون على الحُكم؛ لأنّهم يعلمون الغيبَ أو ما في اللّوح المحفوظ؛ ثمّ يقومون بتنفيذه وقضائه[2].

دلالة التّعبير بالفعل المضارع ﴿يَكْتُبُونَ﴾:

لو علموا الغيبَ لـتَـجـدّدَت كتابتُهم للنّاس ما ينفعُهم

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ عن الكتابة بالفعل المضارع في قوله جلّ شأنه: ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾؛ للدّلالة على أنّهم يُجَدِّدون للنّاس زعمَهم كتابةَ ما غاب عنهم ممّا ينفعُهم ويَضرُّهم[3].

بلاغة فاصلة الجملة:

نـفـيُ الـشّيء بإيجابه

تظهر بلاغةُ فاصلة الآية ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ في أنّها من قبيل نفي الشّيء بإيجابه؛ لأنّ العبارة من حيثُ اللّفظ إثباتٌ وتقرير، ومن حيثُ المعنى نفيٌ وإنكارٌ لترتُّبِها على تحصيل علم الغيب؛ فلمّا انتفى علمُهم بالغيب انتفت كتابتُهم[4].

دلالة حذفِ متعلّق ﴿يَكْتُبُونَ﴾:

إفـادة الـعـمـوم في كل ما يتعلق بأمور الغيب

حُذِفَ متعلّق ﴿يَكْتُبُونَ﴾؛ لإفادة العموم؛ أي: فهم يكتبون كلّ ما يتعلّق بأمور الغيب، حتّى يُمَكِّنُهم ذلك منازعةَ النّبيِّ ﷺ في البعث وأمورِ الآخرة بزعمهم[5].

نُكْتَةُ فصلِ الآية ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ عن سابقتها:

الانـتـقـال من إنكار الأقوال إلى كـشـف الـنّـوايـا والكيد الخفيّ

فصل النّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾؛ لأنّها مستأنَفة سيقت لإبطال

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 77.
(2) محمّد الهلال، التفسير الثريّ: 11/ 175.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 30.
(4) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 173.
(5) الجمل، حاشية على الجلالين: 4/ 230.

نواياهم الخبيثة للنّبيّ ﷺ، وللمؤمنين ولدعوة الإسلام[1]، بعد أن ردَّ شبهاتِهم وأقوالَهم الظّاهرةَ، فدلَّ الفصلُ على تنويع الإنكار، وتعدّد وجوهِ التّهديد والرّدع، مع تنبيه المؤمنين إلى كيدهم المستتر.

دلالة الاستفهام في قوله: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ﴾:

الإنكار والتّوبيخ

جاء التّعبير بـ ﴿أَمْ﴾ في قوله: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ﴾ لما تحمله من معنى الاستفهام الإنكاريّ، والمُراد: لا ينبغي ولا يليق منهم هذه الإرادة، والمقصودُ بها التّشاورُ والاجتماعُ على كيدك، ويُفَسّر ذلك قولُه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ الآية[2]. ويجوز أن يكون الاستفهامُ للتّقرير بدلالة المَقام، و﴿أَمْ﴾ فيه بمعنى (بل)؛ أي: بل هم يريدون كيدًا بالرّسالة والرّسول[3].

نُكْتَةُ إعادة ذِكْر ﴿أَمْ﴾:

تأكيدُ الإنكار لكشف نوايا الكفّار

كرّر النّظمُ الجليل ﴿أَمْ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ لتأكيد الإنكار، ولكشف نواياهم الخبيثة، وللتّأكيد على جَعْلِه في جملة مستقلّة بالإنكار لما يحملُه من الخطورة؛ لأنّه يتعلّق بكيدهم للنّبيّ ﷺ في إنهاء حياته.

سرُّ التّعبير بالإرادة في قوله: ﴿يُرِيدُونَ﴾:

الإرادة تدلّ على السّعي في طلب الشّيء

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بالإرادة في قوله: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ﴾؛ لأنّها تدلُّ على السّعي في طلب الشّيء، وهذا ما فعله المشركون في محاولة التّخلّص من النّبيّ ﷺ ومن دعوته؛ يُؤكّد ذلك مجيءُ الفعل بصيغة المضارع ﴿يُرِيدُونَ﴾.

دلالة التّعبير عن الإرادة بالفعل المضارع:

الإصرار على الكفر يُجدّد المكايدَ وخبثَ النّوايا

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ عن الإرادة بالفعل المضارع في قوله جلّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 77.
(2) الجمل، حاشية على الجلالين: 4/ 220.
(3) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 173.

شأنه: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾؛ وذلك للدّلالة على التّجدّد والاستمرار في إرادة الكيد بالرّسالة والرّسول، والواقعُ الدّعوي الذي عاشَهُ رسولُ الله ﷺ والمسلمون معه يُؤكّدُ تجدُّدَ كيدهم، وما فعلوه بدار النّدوة خيرُ دليلٍ على ذلك.

سرّ التّعبير بقوله: ﴿كَيْدًا﴾، ودلالةُ تنكيره:

كيد الكافرين للحقّ كيدٌ عظيم

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالكيد دون المَكْر في قوله: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾؛ لأنّ الكيد أقوى وأشدّ من المَكر؛ لأنّه يدلُّ على إيقاع الضَّرَر قهرًا بالمستهدَف؛ بخلاف المَكرِ فهو أقلُّ قوّةً من الكيد؛ يُؤكّد ذلك أنّ فعلَ الكيدِ يتعدّى بنفسه؛ بخلاف المَكْرِ؛ فيتعدّى بحرف الجَرّ الباء، وما يتعدّى بنفسه أقوى في تأثيره ومعناه، ولذلك عبّر بالكيد لما يحمله من الدّلالة على شِدّة تدبيرهم وعنادهم[1]. وجاء بصيغة التّنكير لما يحمله من دلالةٍ على التّعظيم والتّفخيم، أي: كيدًا عظيمًا وخطيرًا، يُظهِر مدى ما أضمروه من شَرٍّ ومَكْرٍ، مع توهُّمِهم أنّهم قادرون على إبطال دعوةِ الحَقّ[2].

نُكْتَةُ حذفِ متعلّق الكيدِ:

كلّ مكايدِهم صغيرِها وكبيرِها لا تَضُرُّ أهلَ الحقّ

حذفَ النّظمُ الجليل متعلّقَ الكيدِ في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾؛ وذلك ليكون دالًّا على عموم ما يستطيعون أن يكيدوه[3]، فيشمل كلَّ نوعٍ من أنواع الكيد الذي قد يبيّتونه؛ فجاء الحَذْف لتوسيع المعنى والتّذييل بما ينسف جميعَ مقاصدِهم الخبيثةِ دونَ تحديد. وذهب بعضُ العلماء إلى أنّ ذلك من الإخبار بالغيب؛ لأنّ السّورة مَكّيّة، والكيد كان وقوعُه ليلةَ الهجرة؛ ثمّ أهلكهم الله تعالى في غزوة بدر[4].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 259.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 30.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 77.
(4) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 89.

دلالة التّعبير بالفاء في ﴿فَٱلَّذِينَ﴾:

ولا يحيق المَكْرُ السَّيِّءُ إلّا بأهله

عبّر النّظم الجليل بالفاء في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ وهي هنا للتّفريع، ففَرَّع الجملة على إرادة الكيد والتّهديد بعاقبته؛ للدّلالة على تلازم وقوعِ المَكر السَّيِّءِ على أهله وارتداده عليهم[1].

دلالة التّعبير بالاسم الموصول:

احتمال الاسم الموصول للعموم والخصوص

عبّر النّظمُ الجليل بالاسم الموصول في قوله جلّ شأنه: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾؛ لأنّه يَحْتَمِلُ العمومَ والخصوصَ، فالعموم يشمل جميع الكفّار، والخصوص يُراد به المخاطَبون من قريش[2].

نُكْتَةُ العدولِ عن الإضمار إلى الإظهار:

الموصول يُسَجِّل الكفرَ عليهم، ويُفْصِحُ عن علّة الجزاء

عدل النّظمُ الجليل عن الإضمار إلى الاسم الموصول في قوله جلّ شأنه: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ فلم يقل: (هم المكيدون)؛ وذلك للتّسجيل عليهم بما في حيز الصّلة مِن اتّصافهم بهذه الصّفة القبيحة، وهي الكفر، ولأنّها هي العِلّة في تعلّق الحُكم بهم[3].

نُكْتَةُ التّعبير عن الكفر بالفعل الماضي:

تحقّقُ الكفر ورسوخُهم فيه

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ عن الكفر بالفعل الماضي ﴿كَفَرُوا۟﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾؛ للدّلالة على تحقيقهمُ الكفرَ ووقوعِه منهم، ورسوخِهم في الاتّصاف به.

بلاغة التّعبير بأسلوب القَصْر:

قَصْرُ مآل الكيد على أهله تهديدًا لهم

عبّر النّظمُ الجليل بأسلوب القَصْر في قوله جلّ شأنه: ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾؛ وذلك بالإتيان بضمير الفصل، أي: هم خاصّةً الذين سينالون سوءَ كيدِهم[4]. فصفةُ الكيدِ مقصورةٌ عليهم،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 78.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 155.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 39.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 31.

وهو قَصْرٌ إضافيٌّ[1]؛ وذلك لأنّ المعنى ليس أنّ غيرَهم لا يُكاد له، بل المقصود: أنّ الكيد في هذا السّياق مختصٌّ بهم دون غيرِهم، وأنّهم هم المخصوصون بالجزاء على الكيد الذي دبّروه، وغرضُه التّهديد والوعيد.

دلالة التّعبير عن الكيد باسم المفعول:

الـجـزاء من جنس العمل

عبّر النّظمُ الجليل عن الكيد باسم المفعول في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾؛ للدّلالة على أنّهم يجازَوْنَ بكيدهم، فضَرَرُ كيدهم لا يعود إلّا عليهم[2]، فهو تعبير عن عودة المكر السَّيِّء على أصحابه، وفيه بشارة للنّبيّ ﷺ بنصره عليهم وردِّ كيدهم، ووقع ذلك في غزوة بدر، وهذا من إعجاز القرآن في إخباره بغيب المستقبل.

بلاغة المشاكلة في الآية:

سـوءُ المصير للكافرين جزاءُ مكرِهم وكيدِهم

عبّر النّظمُ الجليل بإطلاق الكيد على ما يجازيهمُ الله تعالى به في قوله جلّ شأنه: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ على سبيل المشاكلة[3]، وذلك لإظهار المقابلة التّهديديّة، فجاء التّعبير مشاكِلًا لأفعالهم؛ ليُشْعِر بأنّ كيدَهم سيرتدُّ عليهم، وأنّ ما ينتظرهم من العقوبة المؤجَّلة مُدبّرٌ بإحكام يفوق تدبيرَهم، فيكون تهديدًا بليغًا وسخريةً ضمنيّةً من ضعف مكرهم أمامَ تقديرِ الله.

بلاغة جناس الاشتقاق في لفظ الكيد:

قَـلْـبُ كـيـدِ الـكـافـريـن إلى كيدٍ يحيق بهم أمرٌ مُؤكَّدٌ محقّق

جمع النّظمُ الجليل في الآية بين لفظين من الجذر (كيد): ﴿كَيْدًا﴾ و﴿ٱلْمَكِيدُونَ﴾، في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ على سبيل الجناس الاشتقاقيّ، وبلاغة ذلك

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 89.
(2) الشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 122.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 78.

تتجلّى في تأكيد المعنى؛ إذ إنّ تكرار اللّفظ بِمُشْتَقَّيْهِ يُظْهِر العلاقةَ السّببيّة بين كيدهم ومآلهم، فهم يُكاد بهم من حيثُ لا يشعرون.

نُكْتَةُ فصلِ قولِه: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ﴾ عمّا سبق:

خطورة الشّرك الذي هو أعظم ضلالاتهم

فَصَلَ النّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ لأنّها مستأنَفَة سيقت للإنكار على أعظم جرائمهم، وهو الشّرك بالله، ففصلُها عن الآيات السّابقة يُشير إلى عِظَم هذا الضّلال، فجعلَه في جملة مستقلّة برأسها تنبيهًا على شدّة بطلانه؛ لأنّ الإشراك هو أصل كلّ ضلالٍ، وأعظمُ الكفر، فجاءت الآيةُ كالسّهم الأخير القاطع في سلسلة الإنكار المتتالية، مخصَّصة في السّياق لتعرية هذا الباطل، وإنكارِ هذه العقيدة الفاسدة استقلالًا[1].

دلالة الاستفهام بـ ﴿أَمْ﴾:

الإنكار والنّفي

جاء التّعبير القرآنيُّ بأسلوب الاستفهام في قوله: ﴿أَمْ﴾؛ لدلالتِه على الإنكار والنّفي، وتقديره بـ (بل) و(الهمزة)، أو بـ (الهمزة) وحدَها؛ حتّى يكون هناك استفهام، والمراد: إنكارُ أن يكون لهم في الواقع إلهٌ غيرُ الله، وعلى معنى النّفي يكون المعنى: ما ينبغي لهم، ولا يليق بالعقلاء اعتقادُ أن هناك آلهة غيرُه سبحانه، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2].

علّة تكرار ﴿أَمْ﴾:

إنكار الشّرك وإبطالُه أعظمُ مقصِد للسّورة

كرّر النّظمُ الجليل ﴿أَمْ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؛ استمرارًا لسياق التّفنيد والتّقريع والتّوبيخ[3]، حيثُ جاءت ﴿أَمْ﴾ المتكرِّرة في الآيات السّابقة؛ لتفصيل شبهات الكافرين والرّدِّ عليها شبهةً شُبهةً، فكلُّ ﴿أَمْ﴾ تُفيد انتقالًا إلى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 78.
(2) الجمل، حاشية على الجلالين: 4/ 221.
(3) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 303.

لون جديد من الإنكار والتّوبيخ. وفي هذه جاءت ﴿أَمْ﴾ للانتقال إلى أخطر دعاواهم وأشدِّها بُطلانًا، وهو دعواهم بوجود آلهة غير الله، فجاءت ﴿أَمْ﴾ هذه لتُفرد هذه الشّبهة العظيمة، بإنكارٍ مستقلٍّ يليق بعِظَم جُرْمِها، ولتكون مِسْكَ الختامِ في سلسلة تفنيد افتراءاتهم[1].

دلالة اللّام في ﴿لَهُمْ﴾:

هل من خالق غيرُ الله

عبّر النّظمُ الجليل بحرف الجرّ (اللّام) في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾، وهي هنا للاختصاص، أي: هل اختصّ بهم إلهٌ من دون الله تعالى يحفظهم، ويرزقهم، وينصرُهم[2]. وجواب الفطرة: (لا إلهَ إلّا هو، فأنّى يُؤْفَكون).

نُكْتَةُ تقديمِ شبه الجملة على المسند إليه:

الدّلالة على الاختصاص

قدّم النّظمُ الجليل شبهَ الجملة ﴿لَهُمْ﴾ على المسنَد إليه[3] في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾؛ وذلك للدّلالة على الاختصاص، أي: هل خُصّوا بإلهٍ غيرِ الله تعالى يعبدونه أو يستحقّ العبادةَ فيُرجَى نفعُه ويُخافُ ضُرُّهُ؟ وجواب الفطرة السّليمة نفيُ وجودِ إله إلّا الله تعالى.

نُكْتَةُ تنكيرِ ﴿إِلَٰهٌ﴾:

إفادة العموم للمبالغة في الإنكار

عبّر النّظمُ الجليل بتنكير الإله في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾؛ لتهوين شأنه وتحقيره، أي: أيُّ إلهٍ تافهٍ يعبدونه غيرِ الله؟! فهو لا يُعدّ شيئًا يُذْكَر أمامَ عظَمة الإله الحقّ. ويجوز أن يكون المُراد من التّنكير العمومَ والتّهويلَ، وذلك للمبالغة في الإنكار، أي: أيزعمون أنّ لهم إلهًا أيَّ إلهٍ غيرِ الله؟! وهو إنكارٌ شديد يدلّ على أنّ أيّ إلهٍ غيرِ الله لا يُتصوّر وجودُه أصلًا، ولا يستحقّ أن يُعدَّ إلهًا.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 78.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 89.
(3) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 303.

فالتّنكير هنا جاء لتسفيه الشّرك، وبطلانِه المُطلَق، سواء حُمِل على التّهويل أو التّهوين، وكلاهما يدلّ على شناعة الشّرك. وذهب بعضُ العلماء إلى أنّ التّنكير يدلّ على الانعدام؛ لأنّه منَ السّهو أو الخطأ أن تقول: إنّه للتّحقير؛ لأنّ الحقارة صفةٌ لموصوف له وجود، وليس في الكون إلهٌ غيرَ الله، وعلى هذا فالمُراد من التّنكير الانعدام[1].

دلالة التّعبير بالمُركّب الإضافيّ ﴿غَيۡرُ ٱللَّهِۚ﴾:

لا وجـودَ لإلـهٍ سوى الله تعالى

عبّر النّظمُ الجليل بالمُركّب الإضافيّ ﴿غَيۡرُ ٱللَّهِۚ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ﴾ لوصف الإله[2]؛ للدّلالة على أنّه ليس هناك إلهٌ غير الله تعالى، فهو الذي أحاط بجميع صفات الكمال والجلال والجمال، فلا يمكن بوجه من الوجوه أن يكون معه إله"[3].

نُكتَةُ فصلِ جملة التّسبيح:

تنزيهٌ بليغ لقطع أوهـام الشّـرك والشّريك

فصل النّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ عمّا سبقها؛ لأنّها مستأنَفةٌ سيقت لتنزيه الله تعالى عن الشّريك، فأنكر عليهم ادّعاءهم أنّ لهم إلهًا يحفظهم ويرزقهم وينصرهم من دون الله[4]، وللثّناء على الله تعالى بعد تلك النّقائص التي افتراها المشركون.

دلالة التّعبير بـ﴿سُبۡحَٰنَ﴾ مادّةً وصيغةً:

تنزيه الرّحمن عـن مـزاعـم الكفّار

عبّر النّظم الجليل بلفظ ﴿سُبۡحَٰنَ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾، وهو مصدر ناب مناب فعله، دالٌّ على تأكيد التّنزيه[5]، والمُراد: تنزيهُ الله تعالى من أن يكون لعباده إلهٌ غيرُه يرزقهم ويحفظهم[6]. وجاء بصيغة المَصدريّة للدّلالة على دوام

(1) المطعني، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 175.
(2) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 303.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 31.
(4) الشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 122.
(5) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 303.
(6) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 27/ 36.

التّسبيح واستمرارِه في دفع النّقائص، وتنزيهُه عمّا لا يليق بجلاله تنزيهًا كاملًا لا يرتبط بزمان أو مكان أو بفاعل معيّن؛ بخلاف ما لو جاء بصيغة الفعل فإنّه يدلّ على زمن معيّن، وهذا غير مُراد في هذا المقام.

نُكْتَةُ تعدية لفظِ التّسبيح بـ (عن):

تنزيه مقامِ الأُلوهيّة عن الشّريك

عدّى النّظمُ الجليل لفظَ التّسبيح بـ (عن) في قوله جلّ شأنه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، وهو حرفٌ دالٌّ على المجاوزة والإبعاد، فأبعدَ هذا المعتقدَ عن ذات الله تعالى، ونَزَّهه سبحانه عمّا يُشرك به هؤلاء من الأصنام الباطلة، فسبحانَه مُنزّه عن كلّ شريك[1].

دلالة التّعبير بالإظهار في موضع الإضمار:

استدعاء المقام للإظهار؛ كيدًا للمشركين

جاء التّعبير القرآنيُّ بإظهار لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾ في موضع الإضمار؛ فلم يقل: (سبحانه)؛ لأنّ المقام هنا يستدعي هذا الإظهار؛ كيدًا للمشركين الذين دَعَوا مع الله آلهةً أخرى، يعبدونها ويَلْجَؤون إليها في جَلْب المنافع ودَفْع المضارّ[2].

سرّ التّعبير بـ (ما):

تنزيه الله تعالى عن الشّرك وعن الشّريك

عبّر النّظمُ الجليل بـ (ما) في قوله جلّ شأنه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؛ لأنّها صالحةٌ أن تكون مصدريّةً، أي: عن شركهم به تعالى، وأن تكون موصولة، أي: عن الذين يجعلونهم شركاءَ له[3]. فهو تنزيهٌ لله تعالى عن الشّريك والشّرك عامّة، وهذا مبالغة في التّنزيه.

دلالة التّعبير بالفعل المضارع ﴿يُشْرِكُونَ﴾:

تجدّدُ شركِهم وإصرارُهم عليه في عباداتهم

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ عن شِرْكِهم بالفعل المضارع في قوله جلّ شأنه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؛ للدّلالة على تجدُّدِه

(1) الشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 122.
(2) المطعني، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 175.
(3) الشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 122.

وإصرارهم عليه في عبادتهم لهذه الجمادات التي لا تنفع ولا تضر، ولا تغني عنهم من الله شيئًا.

بلاغة ختام الآية بقوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾:

جاء ختام الآية بهذه الجملة للتّأكيد على إثبات الوحدانيّة لله ربّ العالَمين، بهذا الأسلوب البلاغيّ الذي جَرّد المشركين من كلّ أسباب القوّة والسّيطرة، وأبطل مزاعمَهم في تعدّد الآلهة.

إثبات الوحدانيّة لله ربّ العالَمين

بلاغة التّرتيب في الاستفهام:

النّاظر في سياق الاستفهامات الواردة في سورة الطّور، وعددُها خمسةَ عشرَ استفهامًا في أربعَ عشرةَ آيةً، بَدْءًا من قوله: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ۝٣٠﴾ [الطور: 30] إلى قوله تعالى: ﴿أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ - يجد أنّها في مواجهة افتراءات المشركين وتعنّتهم في رفضهم لدعوة الإسلام ومنهج القرآن، وهذا واضح في كثرة افتراءاتِهم الكاذبة، وتوهّماتِهم الباطلة، التي واجهَها القرآنُ بأسلوب شديد من خلال الاستفهامات الاستنكاريّة الواردة في هذه الآيات، وغرضُها تفنيدُ مزاعم المشركين، وإقامةُ الحُجّة عليهم بما لا يستطيعون دفعَهُ؛ بل يَلْزَمُهم الجوابُ والإقرارُ دونَ إنكار أو معارضة، لمن له عقلٌ وألقى السّمع وهو شهيد؛ يُؤكّد ذلك بلاغةُ التّرتيب والتّرقّي في المعاني، بَدْءًا من قوله: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ﴾ [الطور: 30] إلى قوله: ﴿أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ﴾؛ وذلك لأنّه تدرّج وترقّى في حكاية ما قالوه من المنكر إلى ما هو أدخل فيه؛ فبدأ بنفي الشّعر والكهانة عنه ﷺ، وذلك بدعوته بالتّذكير في قوله: ﴿فَذَكِّرۡ﴾ [الطور: 29] ودُم عليه؛ لأنّك أنتَ الغالبُ في هذه الدّنيا، وفي دار القرار، ويكون قولُه تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ﴾ [الطور: 30] إلى قوله: ﴿هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ﴾ تفصيلًا للمُجْمَل من تكذيب المُكَذّبين، مع التّعريض بفساد مقالتِهم الحمقاء؛ ثمّ ترقّى

التّرقّي في المعاني والأسلوب والرّدّ على افتراءاتهم المذكورة

الأسلوبُ القرآنيُّ عن مناقشة ادّعائهم بأنّ الرّسول ﷺ كاهنٌ أو مجنون، إلى قولهم فيه بأنّه شاعر؛ لأنّه أدخلُ في الكذب من الكهانة والجنون؛ ثمّ ترقّى الأسلوبُ إلى عَزوِ هذه الافتراءات إلى طغيانهم في قوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾؛ لأنّه أدخل في الذّمّ من نقصان العقل؛ ثمّ أخذ القرآنُ خطوةً أعلى في أسلوب الرّدّ على افتراءاتهم المذكورة في الآيات، بتنزيل مَن قال ذلك من الكافرين منزلةَ من يدّعي أنّه خُلِقَ من غير شيء، أو خَلَق نفسَه، أو خَلَق السّماواتِ والأرضَ، ومعلومٌ أنّ ذلك باطل لا يقبله العقلُ، وبعد أن أبطل مزاعمَهم عقلًا، انتقل إلى المشاهدة والسّماع من الله ﷻ، وهو أظهر في البُطلان؛ ثمّ ترقّى الأسلوبُ في تفنيد حُجَجِهم في الإنكار عليهم، بجعلهمُ الخالقَ أدنى من المخلوق، في نسبة البنات إليه مع نفورهم من ذلك، ويواصل الأسلوبُ الإيغال في تهكُّمه بهم بقوله: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ الذي يُناقِضُ ما أخبر به الرّسولُ ﷺ، ويترقّى الأسلوبُ من الإضراب إلى الإنكار عليهم الكيدَ برسول الله ﷺ، ولكنّ القرآن يتوعَّدُهم بأنّهم هم المَكيدون، وتحقيق ذلك في قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ يُنجيهم من كيده وعذابه، وجواب الفطرة: بأنّه لا إلهَ إلّا الله؛ فهو المعبود بحَقّ[1].

❁ الفُروقُ المعجميّة:

الكيد والمكر:

الكيد أشدّ قوّةً في التّدبير من المكر

الكيد: أقوى وأشدّ، ويدلّ على إيقاع الضّرر قهرًا بالمستهدَف، سواء عَلِم بذلك أم لم يعلم، وأصله من المشقّة.

والمَكر: أقلّ قوّةً من الكيد، ويُشترط فيه غالبًا أن يكون التّدبير للضّرر بحيثُ يعلمه المَمكور به، أي: لا يظلّ خفيًّا تمامًا عنه.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/ 307، 308، والآلوسيّ، روح المعاني: 41/ 42.

والكيد أقوى لأنّه يتعدّى بنفسه، فيقال: كادَه، بينما المَكرُ يتعدّى بحرف الجَرّ الباء، فيقال: مَكَر به، وما يتعدّى بنفسه أقوى في تأثيره ومعناه[1]. فعَبَّر في الآية بالكيد للدّلالة على قوّة تدبيرهم وشِدّة عَدائِهم.

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 259، 260.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"